تفاعل الآليات اللسانية لإبراز الوظائف الدلالية في القرآن الكريم

The interaction of Linguistic Mechanisms to Highlight Semantic Functions in the Holy Quran

L'interaction des mécanismes linguistiques pour mettre en évidence les fonctions sémantiques dans le Saint Coran

صفية مطهري
جامعة وهـران 1 أحمد بن بلة

الملخص:

إن ما تنماز به العلوم اللغوية بشتى أنواعها وتنوعاتها، هو كونها ذات نظام علائقي يجمعها فلا تحيد عنه ولا يمكنها ذلك، إذ تعد بمثابة الجملة التي هي عبارة عن وحدة لسانية قائمة بذاتها، تتألف من أجزاء لسانية تحكم بنيتها، لتجعل منها نظاما تربطه علائق دلالية تعد مرتكزاته الأساسية الماثلة والمتمثلة في جملة من القضايا اللغوية.

الكلمات المفتاحية:.اللسانيات، الخطاب، الوظائف، الدلالة، القرآن.

Abstract:

What distinguishes the linguistic sciences of all kinds and diversities is that they have a relational system that brings them together, so they cannot deviate from it, and its main foundations are represented in a number of questions linguistics.

Key words: Linguistics, speech, functions, semantics, the Koran.

Résumé:

Ce qui distingue les sciences linguistiques de toutes sortes et de toutes diversités, c'est qu'elles ont un système relationnel qui les rassemble, elles ne peuvent donc pas s'en écarter, et ses principaux fondements sont représentés dans un certain nombre de questions linguistiques.

Mots clés : Linguistique, discours, fonctions, sémantique, le Coran.

مقدمة:

إن ما تنماز به العلوم اللغوية بشتى أنواعها وتنوعاتها، هو كونها ذات نظام علائقي يجمعها فلا تحيد عنه ولا يمكنها ذلك، إذ تعد بمثابة الجملة التي هي عبارة عن وحدة لسانية قائمة بذاتها، تتألف من أجزاء لسانية تحكم بنيتها، لتجعل منها نظاما تربطه علائق دلالية تعد مرتكزاته الأساسية الماثلة والمتمثلة في جملة من القضايا اللغوية.

إن المستويات اللسانية بآلياتها المختلفة والمتنوعة لتتفاعل فيما بينها تفاعلا علائقيا، وذلك باستخدام إجراءات وأدوات لسانية تؤدي إلى معرفة البنية اللسانية للغة القرآن الكريم، إذ تتشكل هذه الأخيرة من مواد لسانية تتجسد في المستويات الآتية: الصوتي، فالمورفولوجي، فالتركيبي، فالسياقي؛ حيث تعمل هذه المستويات مجتمعة داخل البنية اللغوية لاستكناه الوظائف الدلالية في الآيات القرآنية.

ومن هنا، فإن العلاقة القائمة بين المستويات اللسانية، هي علاقة منظمة ومنسقة، وبهذا نستطيع أن ندرك أن نظام المعنى في لغة القرآن الكريم يخضع لنهايات الكلمات، تلك النهايات المتعلقة بظاهرة الإعراب التي تنماز بها اللغة العربية دون سواها؛ هذه الظاهرة تترجمها وحدات وعناصر لغوية تعمل بواسطتها من الناحية الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والسياقية، لتنصهر كلها في حقل علمي ومعرفي واحد هو الحقل الدلالي.

المستوى الصوتي:

إن معرفة البنى النظامية لحركية الأصوات في اللغة العربية، أمر ضروري، يلزم الباحث لاستقصاء هذه البنى النظامية لحركية الأصوات ودراستها، إذ ينطلق الباحث من القاعدة الصوتية الفيزيولجية المشتركة بين جميع الناس الذين يتكلمون اللغة، فينتجون كلاما عن طريق الجهاز النطقي الفيزيولوجي، حيث إن هذا الجهاز قادر على صياغة الأصوات البشرية انطلاقا من أقصى الحلق إلى غاية الشفتين.

وتظهر من ذلك الصفات الفيزيائية والفيزيولوجية للأصوات التي هي قاسم مشترك بين جميع اللغات؛ ولهذا بات من الضروري معرفة النظام الصوتي للغة العربية التي يراد تعليمها، وذلك من خلال وضع منهج واضح وسهل يمكن المعلم من الاستيعاب ثم توصيل المعلومات إلى المتعلم.

إن لمعنى الكلمة تأثيرا صوتيا يوحي بدلالتها وهو قسمان:[1]

1-تأثير صوتي مباشر: قد ينحصر فيما تدل عليه بعض الأصوات مثل: خرير الماء، وصليل السيوف، إذ يحاكي فيه التركيبُ الصوتي الاسمَ. ومنه الصلصال: وهو تردد الصوت من الشيء اليابس، وقيل صل المسمارُ، وسُمِّيَ الطين الجاف صلصالا. ومنه قوله تعالى: "خَلَقَ الإنسانَ من صَلْصَالٍ كالفَخَّارِ" [2]

2-تأثير صوتي غير مباشر: وذلك مثل القيمة الرمزية للكسرة، ويقابلها في اللغة الإنجليزية مثلا « I » التي ترتبط في أذهان الناس بالصغر أو بالأشياء الصغيرة.

وقد وظف سيبويه الصوائت توظيفا هاما، وبنى عليه كثيرا من الآراء إن لم تكن نظريات، ومن أقواله: "إنما كان الرفع في هذا الوجه لأن هذه خصال"[3] وقال أيضا: "فإن رفعت فالذي في نفسك ما أظهرت."[4]

يستشف من فحوى هذين النصين اهتمام سيبويه بتحديد الدلالة الظاهرية والباطنية للناطق من استعمال الصوائت. كما أن الدلالة في الصوائت هي التي تظهر في بعض الصيغ الوصفية؛ فإذا كانت دلالة الصيغة الحدثية تكمن في وسطها مثل فَعُلَ وفَعِلَ وفَعَلَ، إذ يدل الضم فيها على الثبات، ويدل الكسر على الزوال، والفتح حياد، فإن للوصفية البداية في مثل القِسْط العدل، والقَسْط الجور، والقُسْط عود طيب. ومنه قوله تعالى: "وأَقِيمُوا الوزنَ بالقِسْطِ ولا تُخْسِروا الميزانَ"[5] حيث وظفت كلمة القِسط محركة بكسرة دالة على العدل. ومن ذلك أيضا قول قطرب في مثلثه [6]

طارحـــــــني بالقَسْطِ ** ولم يزن بالقِسْطِ
في فيهِ طَعْمُ القُسْطِ ** والعنبرِ المُطَيَّبِ

1- يراجع علم الدلالة لأحمد مختار عمر، الطبعة الأولى1982، دار العروبة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص40.
2- سورة الرحمن، الآية 14.
3- الكتاب لسيبويه، أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية 1977، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص1: 361.
4 - م ن، ص1: 282.
5 - سورة الحمن، الآية +9.
6- مثلثات قطرب، تحقيق ودراسة ألسنية لرضا السنوسي، دار العربية للكتاب، ليبيا 1978، ص62.

ومنه كذلك في المشتقات في اسمي المرة والهيئة فَعلَة وفِعلة إذ تختلفان من حيث الدلالة، ومن ذلك قوله تعالى: "وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كَرَّةً فنتبرأ منهم كما تبرَّءوا منا"[7] وقوله: "فلو أن لنا كَرَّةً فنكونَ من المؤمنين"[8] فالكرة بفتح الفاء هاهنا هي بمعنى الرجوع أو العودة. ومنه قول تعالى كذلك: "إنْ كانت إلا صَيحةً واحدةً فإذا هم خامدون"[9] وقوله: "ما ينظرون إلا صيحةً واحدةً تأخذهم وهم يَخِصِّمُونَ"[10] حيث وردت كلمة صيحة بفتح الفاء دالة على المرة الواحدة من الصياح، وهي صيحة جبريل عليه السلام.

أما إذا جاءت صيغة الكلمة مكسورة الفاء، فإن دلالتها تختلف وتصبح مبينة للهيئة أو للحالة التي يكون عليها الفعل، ومن ذلك قوله تعالى: "ولكلٍّ وِجْهَةٌ هو مُوَلِّيها فاستبقوا الخيراتِ أينَ ما تكُونُوا يأْتِ بكم اللهُ جميعا إن اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ"[11] فالوِجهة بكسر الفاء هي مصدر دال على الهيئة التي يكون عليها الفعل وَجَهَ. ومنه قوله تعالى كذلك: "فهو في عِيشَةٍ راضيةٍ"[12] فكلمة عِيشة هاهنا دالة على هيئة وحالة العيشة في الجنة.

هذا بالنسبة للصوائت، وأما الصوامت فهي الأخرى لها دلالة كامنة فيها، تظهر إما من خلال ذواتها، أو رتبها في المباني. وقد أقر الدارسون العرب من خلال رصد المباني، أن النون المتبوعة بالباء تدل على مطلق الظهور مثل: نَبَتَ، ونَبَسَ، ونَبَغَ، ونَبَعَ، ومن ذلك قوله تعالى: "تَنْبُتُ بالدُّهْنِ"[13] ومنه قوله كذلك: "ألَمْ تَرَ أن اللهَ أنْزَلَ من السماءِ ماءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ في الأرضِ"[14] ويقال نَبَعَ الماءُ يَنْبُعُ نُبوعا ونَبْعا ومنه الينبوع وهو العين التي يخرج منها الماء، ويجمع على ينابيع.

ومن خلال ملاحظة المباني وموقعيات صوائتها، يمكننا أن نحدد الدلالة في أصول المباني أيضا، حيث نجد للعلامة الإعرابية في آخر المباني التركيبية وظيفة أساسية تفرق بين المثنى والجمع السالم في مثل: المُعَلِّمَيْنِ والمُعَلِّمِينَ؛ ومن ذلك قوله تعالى: "مَرَجَ البَحْرَيْنِ يلتقيان"[15] ومنه قوله كذلك: "ونُنَزِّلُ من القرآن ما هو شِفاءٌ

7 - سورة البقرة، الآية 167.
8- سورة الشعراء، الآية 102.
9 - سورة يس، الآية 29.
10 - سورة يس، الآية 49.
11 - سورة البقرة، الآية 148.
12 - سورة القارعة، الآية 7.
13 - سورة المؤمنون، الآية 20.
14 - سورة الزمر، الآية 21
15 - سورة الرحمن، الآية 19

ورحمةٌ للمؤمنينَ ولا يَزِيدُ الظالِمِينَ إلا خَسارًا"[16] حيث إن لوظيفة العلامة الإعرابية في كلمة البحرين دلالة على المثنى، أما في كلمة المؤمنين والظالمين فهي دالة على الجمع المذكر السالم في حالتي الجر والنصب.

الوظيفة الدلالية للعلامة الإعرابية:

إن العلامة الإعرابية هي عبارة عن مورفيمات ذات أبعاد دلالية، تتحدد وفق ملابسات تركيبية تفرضها السياقات المختلفة للتراكيب اللغوية. كما أن العلامة الإعرابية في اللغة العربية، تتمثل في هذه الحركات الثلاثة: الفتحة والكسرة والضمة، وتعد أساسية، وفي غيرها من علامات الإعراب الفرعية.[17]

أما الأساسية، فقبل البدء في ذكر وظائفها الدلالية، أود أن أذكر بمخارجها الصوتية المختلفة في الجدول الآتي:

الحركة	موضع نطقها	درجة انفتاح الشفتين	صفتها
الكسرة	أمامية	منغلقة	منفرجة
الفتحة	وسطية	منفتحة	منفرجة
الضمة	خلفية	منغلقة	مستديرة

إن للصوائت الثلاثة مخارج في الجهاز النطقي، وذلك باعتبار دلالة مصطلحاتها. فالفتحة هي صوت لين قصير متسع ينفتح معه الفم وينتصب اللسان؛ أما الضمة فهي صوت لين قصير ضيق يرتفع معه اللسان عند النطق، وكذا بالنسبة للكسرة، فهي صوت لين ضيق، إذ ينكسر معه طرف اللسان، ويضيق المجرى الهوائي.

وإذا كان اللسان يرتفع مع الضم، فهو ينكسر مع الكسر، وبالتالي فهما صوتان متضادان، في حين نجد الفتحة تتوسطهما باتساعها، إذ منها تنطلق الحركة متجهة نحو الضم أو نحو الكسر؛ وهذا ما نستخلصه من الرسم الآتي:

الحلق ُ ◌َ ◌ِ الشفتان

- 16سورة الإسراء، الآية 82.

17 - يراجع التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث للطيب البكوش، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس 1973، ص48.

فهو يبين لنا وضعية الصوائت وصورها، واتصالها، وتآلفها، وتنافرها في الصيغة الواحدة. فالضمة يرتفع صوتها إلى الأعلى ثم يتجه نحو الفتحة أو الكسرة في نهاية الفم أي الشفتين.

وعليه، فإن الضمة والفتحة متجاورتان متباعدتان، والفتحة والكسرة متجاورتان متقاربتان، والضمة والكسرة متباعدتان متنافرتان، وإن الاتجاه من الضم إلى الكسر هابط، بينما يكون العكس من الكسر إلى الضم فهو متصعد وفيه صعوبة.

إن للحركات الثلاثة وظائف دلالية في التراكيب اللغوية منها:

1-الفتحة علم المفعولية: إن ظاهرة المفعولية في اللغة العربية مميزها هو الفتحة. والمفعولية هي سمة من سمات الأفعال، إذ يتعدى الفاعل عمل فعله إلى غيره أو هو "ما وقع عليه فعل الفاعل بغير واسطة حرف الجر أوبها"[18]

ونجد بأن سيبويه قد تناول هذه القضية أثناء حديثه عن الصيغة الإفرادية الحدثية ذات الدلالة الزمنية؛ ومن ذلك قوله: "اعلم أنه يكون كل ما تعداك إلى غيرك على ثلاثة أبنية: على فَعَلَ يَفْعِلُ وفعَلَ يَفْعُلُ وفَعِلَ يَفْعَلُ وذلك نحو ضرَبَ يَضْرِبُ، وقَتَلَ يَقْتُلُ ولَقِمَ يَلْقَمُ."[19] ونجد ذلك في العديد من الآيات القرآنية، ومنه قوله تعالى: "ويَضْرِبُ اللهُ الأمثالَ للناسِ لعلَّهم يَتَذَكَّرُونَ"[20] ومنه قوله كذلك: "يَوْمَ تَرْجُفُ الأرضُ والجبالُ"[21] ومنه قوله كذلك: "وأنكَ لا تَظْمَأُ فيها ولا تَضْحَى"[22] حيث نجد الأفعال: يضرب وترجُف وتظمَأ تحمل دلالات زمنية نستشفها من وظائفها الدلالية المختلفة.

2-الضمة علم الإسناد: إن الإسناد تتقاسمه التراكيب اللغوية، إذ يكون ممثلا في طرفيه المسند إليه والمسند اللذين يعدان دعائم أساسية في الجملة العربية بنوعيها:

الجملة الاسمية:

المبتدأ = مسند إليه

الخبر = مسند

الجملة الفعلية:

الفاعل = مسند إليه

الفعل = مسند

وتعد الضمة علما للإسناد، إذ تشكل باب المرفوعات في اللغة العربية، شريطة تجرد هذين العنصرين من العوامل اللفظية والمعنوية، ونجد ذلك من الركائز

- 18كتاب التعريفات لعلي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت 1985، ص241
- 19الكتاب لسيبويه، ص4: 38.
20 - سورة إبراهيم، الآية 25.
21 - سورة المزمل، الآية 14
22 - سورة طه 119.

الأساسية التي بنيت عليها العديد من التراكيب اللغوية في القرآن الكريم؛ من ذلك قوله تعالى: " قل يا أيُّها الكافرون1 لا أعبدُ ما تعبدون2 ولا أنتم عابدون ما أعبد3 ولا أنا عابد ما عبدتم4 ولا أنتم عابدون ما أعبد5 لكم دينكم ولي دين6"[23] حيث تنوعت الجمل بين الاسمية والفعلية؛ فالجمل الاسمية ها هنا تدل على الثبات والاستقرار في نفي العبادة عن المصطفى لآلهة المشركين، في حين دلت الجمل الفعلية على الأزمنة المختلفة: الماضي والحال والاستقبال، وبهذا يكون قد نفى عن نفسه كل الحالات الثابتة والمتجددة.

3-الكسرة علم المجرورات:

إن سمة الجر خاصة بالأسماء دون الأفعال ودون الحروف؛ ولهذا فإن من علامات الأسماء الجر، والكسرة علم المجرورات. وقد ورد ذلك في التراكيب اللغوية بكثرة.

المستوى الصرفي

إن لهذا المستوى أهمية كبيرة في الدراسات اللغوية بصورة عامة، وفي تحديد التراكيب اللغوية في اللغة العربية بصورة خاصة. والتصريف كما يقول ابن جني في كتابه المنصف: "إنما هو لمعرفة أنفس الكلمة الثابتة"[24]. ولأهميته كذلك فهو "مقدمة للنحو أو خطوة تمهيدية له، وهو وسيلة وطريق من طرق دراسة التركيب، ومعنى هذا أنه لا يجوز عزل أحد هذين العلمين عن الآخر في النظري والتطبيق، لأن مسائلهما متشابكة إلى حد كبير."[25]

كما أن نتائج البحث في علم الصرف ذات أهمية كبيرة، وبالتالي فهي "لا قيمة لها ولا وزن ... ما لم توجه إلى خدمة الجملة والتركيب. إذن يجب البدء بقضايا الصرف عند أي تحليل لغوي بوصفه مقدمة ضرورية."[26]

كما أن المعاني النحوية تنبني على ما يقدمه الصرف للنحو من المباني و"هذا هو السبب الذي جعل النحاة يجدون في أغلب الأحيان أنه من الصعب أن يفصلوا بين الصرف والنحو، فيعالجون كلا منهما علاجا منفصلا؛ ومن هنا، جاءت متون القواعد

23 - سورة الكافرون.
24 - المنصف لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر 1954، ص1: 4
25 - دراسات في علم اللغة لكمال محمد بشر، الطبعة الثانية 1971، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص84.
26 - م ن، ص ن.

مشتملة على مزيج من هذا وذاك يصعب معه إعطاء ما للنحو للنحو، وما للصرف للصرف."[27]

وتنجلي العلاقة بين علم الصرف وعلم النحو في موضوعات لغوية هامة، يتجسد فيها دور الصيغة الإفرادية الحدثية في التراكيب النحوية منها:

1-التعدي واللزوم: إن التعدية فرع اللزوم، وهذا يعني قول الأولين واقع وغير واقع، ولقد جنح العربي إلى التعدية بعدة وسائل، بالحرف والهمزة والتضعيف، ثم يكتسب الفعل التعدية؛[28] فكانت ظاهرة التعدي واللزوم، ظاهرة صرفية نحوية، فثمة أوزان معينة تفيد لزوم الفعل أو تعديه، وذلك مثل بناء المضموم العين "فَعُل"، فهو لازم، وإذا زيد بالهمزة أصبح متعديا "أفعلَ" مثل حَسُنَ وأحْسَنَ، فحسُنَ فعل لازم، اكتفى بمرفوعه، أما أحسَنَ، فهو فعل متعدٍ يحتاج إلى مفعول بعد فاعله ليتم معنى الجملة. فنلاحظ هنا أن بناء الفعل الصرفي، قد تحكم في السياق النحوي للجملة. ومثل فَعِلَ وأَفْعَلَ كفرِحَ وأفْرَحَه، وعلِمَ الشيءَ وأعْلَمَه الشيءَ، فقد تغيرت الصيغة من فعِلَ إلى أفعَلَ، وتغيرها أحدث دلالات أخرى في الجملة.

وفَعَلَ وأَفْعَلَ مثل قوله تعالى: "واللهُ أخرَجَكُم من بطونِ أمهاتِكُم لا تَعْلَمون شيئاً"[29] فالفعل أخرج هو فعل متعد مزيد بالهمزة واللازم منه هو خرج.

وسنحاول أن ندرس هذه الجملة دراسة صرفية ودراسة نحوية لنتبين العلاقة بين هاتين الدراستين ومنها بين العلمين.[30]

1-الدراسة الصرفية:

الدلالة	المبنى	العلامة
التعدية	أفعلَ	الهمزة

2-الدراسة النحوية:

الدلالة	المبنى	العلامة

27 - اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، الطبعة الثانية 1979، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 178.

28 - تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي لأسعد علي، الطبعة الأولى 1968، مطبعة دار النعمان، لبنان، ص 181.

29 - سورة النحل، الآية 78

30 - يراجع اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، ص 181.

نصب أخرج مفعولا به	كم (الضمير)	الهمزة

وتتضح العلاقة بين النحو والصرف في الآتي:

1-أن المبنى أفعل في السياق هو مفهوم صرفي وليس نحويا.

2-أن صيغة أفعلَ من خرج، أخرج تغيرت دلالتها بزيادة الهمزة من اللزوم إلى التعدية.

3-أن لهذه الزيادة (الهمزة في أفعلَ) تأثيرا واضحا في السياق النحوي، حيث ألزمتنا صيغة أفعل بالمجيء بمفعول به حتى يتم الفهم النحوي.

4-أن المعنى تعين بواسطة المبنى.

وإذا أردنا إعراب هذه الجملة "أخرجكم" ننظر إلى كلمة أخرجَ، ونحاول أن نبحث عن صيغتها فنجد بأنها:

1-قد جاءت على صيغة أفعَلَ، وهذا معطى صرفي.

2-نحدد دلالة هذه الصيغة الزمنية، فهي تدل على الزمن الماضي.

3-تندرج صيغة أفعلَ تحت قسم من أقسام الصرف، هو قسم الأفعال المزيدة.

4-أن هذه الهمزة كانت سببا في أن يحتاج الفعل إلى مفعول به.

5-وبعد هذا كله، ندرك بأن أفعَلَ هو فعل ماضٍ.

ثم ننظر إلى الضمير المتصل في "أخرجكم"، فنلاحظ الآتي:

1-أنه جاء متصلا بالفعل.

2-أنه جاء مبنيا.

3-أن العلاقة بينه وبين الفعل، هي علاقة التعدية.

4-أنه جاء مفعولا به.

5-أن هذا الضمير كان سببا في أن يجيء الفعل متعديا.

ومن هنا نستنتج أن تحليلنا لهذه الجملة، كان صرفيا نحويا. وعليه، لا يمكن الفصل بين العلمين، وها هو تمام حسان يؤكد أن "الإعراب بحاجة إلى نتائج الصوتيات والصرف ... ولن نستطيع إلا لأغراض البحث، أن نفصل في الفهم بين الصوتيات والصرف والنحو."[31] ولهذا فقد شبه الأنظمة اللغوية بأجهزة الجسم الإنساني، وأن وظيفة النمو تعتمد على هذه الأجهزة دون الفصل بينها إلا لأغراض

31 - م ن، ص 185.

* -وظائف القرائن هي ما يقدمه علما الصوتيات والصرف لعلم النحو من قرائن صوتية أو صرفية كالحركات والحروف.

علمية مثلما يعتمد إعراب نص ما على وظائف الأصوات ووظائف المباني ووظائف القرائن*ونظام العلاقات.[32]

2-الممنوع من الصرف:

توجد بعض الأوزان الصرفية التي تمنع من الصرف، بمعنى أنها لا تقبل الجر ولا التنوين، وما الجر والتنوين إلا علامتا إعراب، ومن هذه الأوزان:

-صيغة منتهى الجموع تمنع من الصرف مثل قوله تعالى: "ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ لهُدِّمَتْ صَوامِعُ وبِيَعٌ وصلواتٌ ومساجِدُ يُذْكَرُ فيها اسمُ اللهِ كثيراً."[33] وتمنع هذه الصيغ (صوامع ومساجد) من الصرف لأنها جاءت نكرة، أما إذا حليت بأل أو بالإضافة فلا تمنع من الصرف. ومن ثم، نلاحظ أن هذه الأوزان تتجاذبها ظواهر نحوية تتمثل في التعريف والتنكير والتذكير والتأنيث وما يترتب عليها من أثر في التركيب يؤدي إلى صرف الكلمة أو منعها.

ومن هنا نخلص إلى أن ظاهرة منع الصرف، ما هي إلا من الظواهر النحوية الصرفية. ومثل هذا كثير كتثنية الأسماء وجمعها جمعا سالما أو مكسرا يؤدي إلى مراعاة وضعية الفعل، فإن كان الاسم جمعا دل الفعل على الجمع، فكل تغيير في الميزان يتبعه تغيير في شكل التركيب.

كما أن للمباني الصرفية أهمية كبرى في كونها تسهم في تراكيب الجمل وشكلها وعلاقات هذه المباني بعضها ببعض، ولذا يرى فندريس أن "تصنيف الفصائل النحوية عمل من أعمال الصرف" [34]

الزمن بين الصرف والنحو:

إن الزمن هو خصيصة من خصائص الأفعال، إذ إنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام: ماض وحاضر ومستقبل، وتبنى الأفعال فيه "لما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع"[35]، كما يعد الزمن مفهوما نحويا يتقيد الفعل به، ويتوزع على أقسام الكلام الثلاثة، إذ نجده في الاسم والفعل والحرف، مما يؤدي إلى توزيعه إلى ثلاثة حقول دلالية زمنية هي:

---

32 - يراجع م ن، ص ن.
33 - سورة الحج، الآية 40.
34 - اللغة لفندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة 1950، ص 126.
35 -الكتاب لسيبويه، ص1: 12.

1-الحقل الزمني الحاضر:

أ-الاسم: أسماء الأفعال الدالة عن الحاضر مثل: أف وآه. وفي ذلك يقول الله تعالى: "أُفٍّ لَكُم ولِما تَعْبُدُونَ" [36]

ب-الحرف: ما ولا التي تخلصان الفعل للدلالة على الحاضر في مثل: لا يحسن بك أن تجامل المنافق.

2-الحقل الزمني الماضي:

أ-أسماء الأفعال الدالة على الماضي مثل: هيهات وشتان. ومن ذلك قوله تعالى: "هيهاتَ هيهاتَ لِما تُوعَدونَ"[37] فاسم الفاعل هيهات في الآية الكريمة جاء دالا على الزمن الماضي بمعنى بعُد الأمر والوعد لما توعدون به.

ب-الحرف: إن دخول "لم" على الفعل المضارع تخلصه للدلالة على الماضي وذلك مثل قوله تعالى: "وقل الحمدُ للهِ الذي لم يتَّخِذْ ولداً ولم يكنْ لهُ شريكٌ في الملكِ ولم يكنْ لهُ وليٌّ من الذلِّ وكبِّرْهُ تكبيراً"[38] حيث إن أفعال هذه الآية جاءت مسبوقة بـ: لم، الأمر الذي أدى إل تغيير دلالتها من المضارع إل الماضي.

3- الحقل الزمني الاستقبالي:

أ- الاسم: أسماء الأفعال الدالة على الاستقبال مثل: صه ومه.

ب- الحرف: دخول السين وسوف على الفعل تخلصه للدلالة على المستقبل مثل سيفعل أو سوف يفعل، ومنه قوله تعالى: "قال أما من ظلَمَ فسوف نُعَذِّبُهُ ثم يُرَدُّ إلى ربِّهِ فيعذِّبُه عذابا نُكْراً"[39]

أما الأفعال فإن دلالتها الزمنية لا تستمد من صيغتها الصرفية فحسب، بل تتعداها إلى السياق كإبرام العقود في البيع والزواج الذي يحدث في الحاضر ويتم بصيغة الماضي، كقولك: بعتك وزوجتك، ومنها الدعاء ويكون بلفظ الماضي وبمعنى المستقبل، كقولك: رعاك الله مثلا. ومن هنا فإن التراكيب النحوية هي "أقدر على تجلية الأبعاد الزمنية من الصيغة الصرفية المفردة."[40] وقد توصل تمام حسان باستعانته بالأفعال الناقصة والأدوات إلى تقسيم زمني للأفعال في الكلام الخبري وفي الكلام الإنشائي مثل: كان فعل وهل فعل في الماضي البسيط، وكان قد فعل وهل كان قد فعل في الماضي القريب المنقطع، وظل يفعل وهل ظل يفعل في الماضي المستمر.

---

36 - سورة الأنبياء، الآية 67.

37 - سورة المؤمنون، الآية 36.

38 - سورة الإسراء، الآية 111.

39 - سورة الكهف، الآية 87

40 - في علم اللغة لغازي مختار طليمات، الطبعة الثانية 2000، دار طلاس، دمشق، ص 199.

وعليه، نخلص إلى أن معنى الزمن في اللغة العربية، لا يستشف من الصيغ الصرفية بمفردها، وإنما هو نتاج التراكيب والأدوات والقرائن التي تؤهله لدلالات زمنية متنوعة بتنوع السياق الواردة فيه.

المستوى النحوي أو التركيبي

إن عناصر الجملة العربية مرتبة ترتيبا هندسيا خاصا يوحي بدلالة الجملة الناتجة عن نوع من التفاعل بين العناصر النحوية والعناصر الدلالية "فكما يمد العنصر النحوي العنصر الدلالي بالمعنى الأساسي في الجملة الذي يساعد على تمييزه وتحديده، يمد العنصر الدلالي العنصر النحوي كذلك ببعض الجوانب التي تساعد على تحديده وتمييزه، إذ يوجد بين العنصرين أخذ وعطاء وتبادل تأثيري دائم."[41] وكمثال على ذلك قولك: أكرم محمد عليا، وأكرم علي محمدا، فتغيير مكان الكلمات في الجملة أدى إلى تغيير في الوظيفة النحوية الذي أدى بدوره إلى تغيير في الدلالة. ومنه قوله تعالى: "إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ"[42] حيث إن تغيير رتبة الفاعل وتغيير رتبة المفعول اقتضته الوظائف الدلالية لمعنى الآية، وذلك "لأن خشية علماء الشريعة المتبصرين ليست مثل خشية عامة المسلمين، بل هي أكمل وأعظم، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى – كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر"[43]

وعليه، فإن للمستوى النحوي أو التركيبي أهمية كبيرة في الدراسات اللسانية، لأن معرفة المركبات اللغوية التي يتألف منها التركيب اللغوي في القرآن الكريم –الذي يشمل جملة مفهومة أساسية أو مشتقة- لهي أمر مهم. والمركبات اللغوية في الجملة بصفة عامة والجملة في القرآن الكريم وما ينتج عنها من دلالات مختلفة لمهم كذلك، إذ إن معرفة البنية النحوية ومعرفة البنية الدلالية التي تفرزها اللغة العربية لهذه البنية ليسهل عملية التعلم والتعليم والتوصيل واستكناه الدلالات المختلفة في القرآن الكريم.

كما يعمل هذا المستوى على معرفة التراكيب اللغوية التي يتألف منها النص بصفة عامة والنص القرآني بصفة خاصة، لأن هذا الأخير هو عبارة عن وحدة لسانية قائمة بذاتها، تتشكل من ضوابط لسانية تؤلف أجزاء هذه الوحدة اللسانية.

فالتراكيب اللغوية تتلون دلالة الكلمة فيها عندما تحل في موقع نحوي معين في التركيب الإسنادي وعلاقته الوظيفية كالفاعلية والمفعولية والحالية والنعتية والإضافة والتمييز والظرفية، وما إلى ذلك من الأساليب اللغوية؛ من ذلك قول أحد الشعراء:

41 - النحو والدلالة - مدخل لدراسة المعنى النحوي لمحمد حماسة عبد اللطيف، الطبعة الأولى1983، القاهرة، مصر، ص113.
42 - سورة فاطر، الآية 28.
43 - تفسير ابن كثير، ص437.

فأومأتُ إيماءً خفياً إلى حَبْتَرَ *** ولله عَيْناَ حَبْتَرَ أيُّمَا فَتَى

لقد أمر الشاعر ابن أخته حبترَ بنحر ناقة، فأومأ إليه بذلك حتى لا يشعر به أحد، ففهم حبتر إشارته لذكائه وحدة بصره. فقوله: أيُّما فتى، إنما تدل على المدح والتعجب الذي تدل عليه حبذا.[44] ومثل هذا كثير مما يدل على الفاعلية أو المفعولية أو الإضافة إلى غير ذلك من التراكيب النحوية ذات الوظائف الدلالية المتنوعة في النصوص القرآنية.

وإنه لمن الأهمية بمكان أن نبين القيمة العلمية للمعاني النحوية، إذ تتجسد هذه الأخيرة في اتحاد أجزاء الكلام وتداخل بعضها مع بعض في بناء محكم، ووضع الجملة في النفس وضعا واحدا لا تحيد عنه إلى غيره.[45] وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني: "وليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها."[46]

إن أهم ما ترتبط به المعاني النحوية ظاهرة الإعراب، إذ تعد من خصائص اللغة العربية الممثلة في الحركات الإعرابية المجسدة للمعاني النحوية. وقد درسها القدماء في مؤلفاتهم حيث أشار أحمد بن فارس إلى ذلك بقوله: "من العلوم الجليلة التي خصت العرب، الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام ولولاه، لما مُيِّزَ فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت، ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من توكيد."[47] ويضيف مؤكدا على أهمية الإعراب "ولما أصابت العربية حظا من التطور، أضحى الإعراب أقوى عناصرها وأبرز خصائصها بل سر جمالها، وأمست قوانينه وضوابطه هي العاصمة من الزلل والمعوضة عن السليقة."[48]

فالتراكيب النحوية أساسها الأسماء والأفعال والحروف، تُكوِّنُ لحمتها بترابطها مع بعضها البعض في ائتلاف دقيق بين كلماتها، تبرز معانيها النحوية، وهذا ما أكده عبد القاهر الجرجاني بقوله: "هذا وأمر النظم في أنه ليس شيئا غير توخِّي معاني النحو بين الكلم، وأنك ترتب المعاني في نفسك ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في

44 - يراجع الكتاب لسيبويه، ص2: 180.
45 - يراجع المسار الجديد في علم اللغة العام لوليد محمد مراد، الطبعة الأولى 1986، مطبعة الكواكب، دمشق، ص 144.
46 - دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، الطبعة الأولى 1969، مكتبة القاهرة، ص 117.
47 - الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة 1977، ص 76.
48 - م ن، ص 42

نطقك، وإنَّا لو فرضنا أن تخلو الألفاظ من المعاني لم يُتَصوَّرْ أن يجب فيها نظم وترتيب." [49]

ومن هنا فإن العلامة الإعرابية في التراكيب النحوية، ما هي إلا مُمَيِّز نحوي، يعد "رمزا في غاية الإيجاز يحول دون اختلاط المعاني ويمنع الالتباس، ويصنف المفردات المضبوطة بالحركة في باب من أبواب النحو."[50] إن هذا الرمز البسيط المتمثل في العلامة الإعرابية ليحدد وظائف الكلمات في التراكيب اللغوية، وذلك وفق ما جاءت عليه أواخرها، وما هذا المميِّز النحوي إلا عامل من عوامل عدم الوقوع في الفهم الخاطئ للمعاني المقصودة، إذ به تتحدد الفاعلية والمفعولية، والزمانية والمكانية، وبالتالي فهو يمتاز بطبيعة وظيفية تكشف عن معاني الكلمة من خلال ربطها بغيرها في نسق منسجم ومتجانس يُظهر سر جمال اللغة العربية، وسر معانيها، وهذا ما أكده ابن جني بقوله عن الإعراب: "هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرم سعيد أباه، وشكر سعيدا أبوه، علمت برفع إحداهما ونصب الآخر، الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجا* واحدا لاستبهم إحداهما من صاحبه."[51]

نستخلص من فحوى ما سبق، أن الدلالة هي الغاية التي ما بعدها غاية، حيث ينتهي عندها أي مستوى من مستويات الدرس اللساني، إذ تمكننا من معرفة البنية الدلالية للغة العربية بعامة، ولغة النص القرآني بخاصة؛ هذه المعرفة التي تساعد المتعلم على استكناه طبيعة الدلالات والمعاني الكامنة في النصوص لتجلية تمفصلاتها الصوتية والتركيبية، وما تحمله من أبعاد دلالية، وما تحقيق ذلك إلا من خلال الكشف عن العلائق الدلالية الموجودة في اللغة العربية التي تؤديها أدوار دلالية، آلياتها هي المنفذ أو الفاعل، والموضوع أو المفعول، والمستفيد من الموضوع، والمكان والزمان الذي تؤدَّى فيه هذه الأدوار.

إن العلاقات الدلالية الرابطة بين المستويات اللسانية، لهي علاقات كلية شمولية، على الرغم من اختلاف طريقة تقديمها ووضعها في قوالب لغوية مختلفة، وبالتالي فهي علاقات تفاعلية بين المستويات اللسانية تعمل على إبراز الوظائف الدلالية في النصوص اللغوية بصفة عامة وفي لغة النص القرآني بصفة خاصة.

---

49 - دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، ص 118.
50 - الألسنية العربية لريمون طحان، الطبعة الأولى 1972، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص13.
*الشرج هو النوع
51 - الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق علي النجار، المكتبة العلمية، ص 1: 35.

قائمة المراجع:

- أحمد مختار عمر، علم الدلالة ، الطبعة الأولى1982، دار العروبة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- الكتاب لسيبويه، أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية 1977، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- مثلثات قطرب، تحقيق ودراسة ألسنية لرضا السنوسي، دار العربية للكتاب، ليبيا 1978.
- كتاب التعريفات لعلي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت 1985.
- المنصف لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر 1954.
- دراسات في علم اللغة لكمال محمد بشر، الطبعة الثانية 1971، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، الطبعة الثانية 1979، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي لأسعد علي، الطبعة الأولى 1968، مطبعة دار النعمان، لبنان.
- اللغة لفندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة 1950.
- في علم اللغة لغازي مختار طليمات، الطبعة الثانية 2000، دار طلاس، دمشق.
- النحو والدلالة - مدخل لدراسة المعنى النحوي لمحمد حماسة عبد اللطيف، الطبعة الأولى1983، القاهرة، مصر.
- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، الطبعة الأولى 1969، مكتبة القاهرة.

- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة 1977.
- الألسنية العربية لريمون طحان، الطبعة الأولى 1972، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق علي النجار، المكتبة العلمية.